وظائف الخطاب اللساني: دراسة في العناوين والمقدمات

يـــوسف منصـر
جامعة باجي مختار – عنابـة

الملخّص:

درج دارسو الخطابات على الاهتمام بالخطاب الأدبي أو ما كان متاحا للدراسة التداولية كالخطاب الإشهاري أو السياسي وغيرهما، ولم يكن إلى عهد قريب الخطاب العلمي محط اهتمام هؤلاء لاعتبارات شتى من بينها أن لغة الخطاب العلمي جافة، وقد لا تعتمد على اللغة في بعض الأحيان.

بيد أن هذا التصور قاصر عن إدراك حقيقة الوضع اللغوي للخطابات العلمية والتي من بينها خطاب اللسانيات أو الخطاب اللساني كما سنصطلح على تسميته في متن المقال، فلغة العلم التي بها يدون العلماء أفكارهم هي سلوك لغوي وتعبير عن طريقة هؤلاء في تشكيل الخطاب وفق أساليب وصيغ وبنى تميز لغتهم عن بقية الاستعمالات اللغوية الأخرى. وهذا المقال محاولة لدراسة الخطاب العلمي من خلال أحد أهم أنواعه وهو الخطاب اللساني، بالتركيز على وظائف هذا الخطاب.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات – الخطاب – الوظائف .

Résumé:

Le discours littéraire a toujours attiré l'attention des chercheurs, ainsi que tous les autres types de textes qui se prêtent à l'étude pragmatique, tel le discours publicitaire, le discours politique…etc. Alors que le discours scientifique n'a pas bénéficié du même intérêt de la part des chercheurs pour des raisons diverses, comme le problème de la langue scientifique trop rigide, qui ne s'appui pas quelque fois sur la langue.

Mais cette vision n'a pu déceler la réalité linguistique des discours scientifiques, dont le discours de la linguistique ou le discours linguistique, la langue qu'utilisent les scientifiques est un comportement linguistique, et l'expression de la méthode avec laquelle ils formulent le discours, selon des styles, des morphèmes et des syntagmes qui caractérisent leur langue. Cet article est une tentative d'étudier le discours scientifique, à travers l'un de ses types, en l'occurrence le discours linguistique, en mettant l'accent sur les fonctions de ce discours.

Mots clés: la linguistique – Discours – Les fonctions .

Abstract:

The literary discourse attracted the attention of researchers, as well as other types of texts which are based on pragmatic study, as advertising and political discourse. While the scientific discourse has not taken the same interest by the researchers because is too rigid, and sometimes not focused on the language. But this vision prevent to detect his nature, including the discourse of linguistics or linguistic discourse.

The language used by scientists is a linguistic behavior, and their expression which they formulate Is done according to the morphological and phrases formulas that characterize their language. This article is an attempt to study the scientific discourse by emphasizing the functions of this discourse.

Key words: linguistics - discourse – functions.

تقديم:

تركز هذه المقالة على وظائف الخطاب اللساني، وذلك خلافا لما درجت عليه أكثر الدراسات التي تتبع الوظائف في صلب الخطابات الأدبية في المقام الأول، ثم التداولية في مقام ثان، دون الاهتمام بالقدر الكافي بمعاينة الوظائف ذاتها في الخطابات العلمية – والتي منها الخطاب اللساني – وقد يكون مرد ذلك إلى التصورات القبلية التي قد نحملها عن الخطاب العلمي من حيث كونه خطابا جافا لا يتوافر على مؤشرات أدبية وفنية كافية. والحقيقة أن هذا النوع من الخطابات كغيره من الأنواع الأخرى، هو فعل تواصلي علمي يتوسل باللغة لتحقيق ذلك الفعل، وسنعتمد في تحديد جمل الوظائف على نقطتين أساستين هما:

أ–الإفادة من التحديد الوظيفي السداسي للغة والمنسوب لرومان جاكبسون دون أن نقصد بذلك الإقحام القصري لوظيفة قد لا تظهر في الخطاب اللساني، وإن كنا نسلم مبدئيا «بتشابك الوظائف اللغوية وتماسكها في عملية الكلام»[1].

ب- التعامل مع الخطاب اللساني كبنية كلية من حيث الوظائف التـــي يفرزها، ويعني هذا أننا لا نركز مثلا على وظائف العنوان في استقلال عـــن وظائف مقدمات الخطاب أو متنه، بل ستكون الإشارة إلـــى مـــدى ملامســـة الوظيفة الواحـــدة أو ظهورهـــا فـــي الأجـــزاء الثلاثـــة المـــذكورة(عنوان الخطاب/مقدمات الخطاب/متن الخطاب).

1-الوظيفة الإحالية أو المرجعية:

تتحقق هذه الوظيفة على مستوى عناوين الخطاب اللساني ومقدماتـــه بشكل خاص، وهي الوظيفة التي «تحدد العلاقة بـــين المرســـل والمرســـلة، وموقفه منها، فالمرسلة في صدورها تدل على طابع مرسلها، وتكشف عـــن حالته فضلا عما تحمله من أفكار تتعلق بشيء ما»[2].

فأما على صعيد العناوين فتهدف هذه الوظيفة إلى «تعيين موضـــوع الكتاب –الخطاب اللساني–وتحديد غاياته، فتشكل هذه الوظيفة بذلك نوعا من التعاقد بين المؤلف والقارئ–والعقد مرجع»[3].

إن بعض الخطابات اللسانية تتضح لنا مرجعياتها أو تعلن عنها، مـــن خلال ما تنطق به عناوينها، ويعتبر هذا الإفصاح بالمرجعية جرا للمتلقي إلى الدائرة ذاتها التي أسسها الباث، ويضاف إلى ذلك أن بروز هذه الوظيفة على مستوى عنوان الخطاب، هو تأسيس لوظيفة أخرى لا تقل أهمية عنها وهـــي وظيفة إقامة الاتصال، فالعنوان هو الواجهة أو المنصة التـــي يلتقـــي عليهـــا الباث والقارئ على حد سواء، وتتعـــدد صـــور إحـــالات العنـــاوين علـــى مرجعياتها، بحسب مقاصد الباحث اللساني، غير أنه يمكن- من خلال معاينة بعض الخطابات- حصرها في الصور الآتية:

أ-المرجعية اللسانية العامة:

أي الإحالة على اللسانيات بصفة عامة، والشاهد في ذلك العتبات الخطابية الآتية[4]:

- مبادئ اللسانيات: خولة طالب الإبراهيمي.
- مدخل إلى اللسانيات: صالحالكشو.
- اللسانيات وأسسها المعرفية: عبد السلام المسدي
- مباحث تأسيسية في اللسانيات: عبد السلام المسدي
- اللسانيات: النشأة والتطور: أحمد مومن

ب-المرجعية اللسانية المدرسية أو المذهبية:

وفيها تحيل العناوين على مدرسة أو تيار لساني معين، من ذلك ما يأتي:

- اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري: أحمد المتوكل.
- اللسانيات البنوية: محمدالحناش.
- اللسانيات التوليدية التحويلية: عادل فاخوري.

ج-المرجعية اللسانية التخصصية:

أي الإحالة على مجال من مجالات اللسانيات أو قطاعاتها، من ذلك:

- السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها: سعيد بنكراد.
- علم الدلالة: عبد الجليل منقور.
- الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي.
- دروس في السيميائيات: حنون مبارك.

د-المرجعية اللسانية النقدية:

أي الإحالة على تتبع التحولات فـــي الخطـــاب اللســـاني العـــام أو المتخصص، وتمثيلا نذكر:

- اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأســـس النظريـــة والمنهجية: مصطفى غلفان.
- اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حافيظ اسماعيلي علوي.
- اتجاهات البحث اللساني: ميلكاإفيتش.
- الدرس السيميائي المغاربي: مولاي علي بوخاتم.

كما تتجلى الوظيفة ذاتها عبر مقدمات الخطاب اللساني، من خلال ما يصرح به الباث من أطر نظرية ومنهجية تسور خطابه، خاصة في بعـــض الخطابات التي لا تفرز الوظيفة المعنية على مستوى عناوينها، وأيـــا كانـــت كفاية هذه الأخيرة في الإحالة على الواقع المقصود، فإن المقـــدمات عمومـــا تظل مالكة لمساحة أكبر في معمارية الخطاب اللساني، مما يمكن المرسل من الإحالة الكافية على مصـــادره ومراجعـــه، «بهـــدف كســـب ثقـــة المتلقـــي واستدراجه...ذلك أن مراجع الكتاب ومصادره تكسب الكتاب مصداقية أكبـــر عند القارئ، لان أهمية المؤلف وقيمته تتحدد غالبا بالمصادر التي اعتمـــدها منطلقا في دراسته»[5].

وسنجتزئ من بعض المقدمات المقاطع الآتية التي تتجلى فيها الوظيفة المرجعية التي تحدد للقارئ المنطلقات العامة للخطاب المقروء:

- « تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن جذور **النظرية التبليغية فـــي التراث اللساني العربي**، من خلال محاولة **استنطاق نصوص بعض أعلامـــه المشهورين بدءا من القرن الثاني للهجرة وانتهاء بالقرن الثامن للهجـــرة،**

وذلك من أجل الدعوة إلى **إعادة قراءة التراث اللغوي العربي** قراءة جديدة في ضوء النظريات اللغوية الحديثة، ومناهج البحث المعاصرة»[6].

– «أما **مصادر** هذا الكتاب فهي مجموعة من **المصادر الأجنبية المترجمة إلى العربية، ومجموعة أخرى من مصادر عربية لغوية متنوعة منها ما هو ذو منحى لساني عام متأثر بالدرس الأجنبي، ومنها ما هو ذو منحى خاص بالعربية وعلومها، إضافة إلى جملة من الكتب القديمة والحديثة مما** كان مجالا لاستمداد الأفكار الجزئية أو الأمثلة والشواهد المتعددة، وهناك أيضا **مجموعة من الدوريات العربية التي حوت دراسات مهمة وكتب أجنبية موضوعة باللغتين الانجليزية والفرنسية**»[7].

– «... لذلك نسارع إلى القول:إن الهدف من هذا البحث ليس التعرض لهذه الدراسات ولا تقويتها، وإنما الهدف منه بالأساس تمحيص مدى ورود **أطروحة سيمون ديك** الأخيرة القائمة على فكرة أن بنية النص تشاكل إلى حد بعيد بنية الجملة...غايتنا إذن اعتمادا على هذه الأطروحة هي معرفة مدى إمكان استكمال وضع نحو وظيفي يكفل وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية»[8].

تضمنت المقاطع المأخوذة من مقدمات مختلفة، ثلاث وظائف مرجعية متباينة هي على التوالي: مرجعية تراثية، مرجعية عامة، مرجعية وظيفية.

ومما سبق نخلص إلى أن الوظيفة الإحالية أو المرجعية عموما ذات تجليات موقعية مختلفة في الخطاب اللساني، والكشف عنها يمكن القارئ من إنجاز قراءة أكثر فاعلية، علاوة على إمكانية مراقبة متن الخطاب بمقتضى المرجعية المصرح بها.

2-الوظيفة التعبيرية أوالانفعالية:

نعتبر في سياق حديثنا عن وظائف الخطـــاب اللســـاني أن الوظيفـــة التعبيرية تصاحبها ضمنا الوظيفة التأثيرية، ومنه فهما وظيفتان متلازمتـــان، لذلك فإن أي حديث عن الأولى يستدعي –على الأقل في الخطاب اللســـاني– حدوث الوظيفة الثانية، «فأثناء التواصل يعبر المتكلم عن ذاته ويســـعى إلـــى التأثير على المخاطب، فيكون الخطاب بذلك مؤديا بالإضافة إلـــى الوظيفـــة المرجعية الوظيفتين التعبيرية والتأثيرية»[9].

والوظيفية التعبيرية هي كل وظيفة « تبرز موقف المـــتكلم وحالتـــه النفسية، إذ يبحث المرسل على خلق الإحساس بحال واقعية أو متخيلـــة»[10]، ومعنى هذا الكلام أن الوظيفة التعبيرية «محورها الفرد المرسل من خلال ما ينتجه من عبارات تدل على حالته النفسية ومشاعره الانفعالية»[11]، ويـــتلاءم ورود هذه الوظيفة أو الوظيفتين في الخطاب اللساني بشـــكل أوضـــح فـــي العناوين والمقدمات، وهي بذلك تتقاطع مع الوظيفة المرجعية، ومرد ذلك إلى أن المواقف والحالات اتجاه موضوع الخطاب، أو التأثيرات التـــي تســـتهدف المتلقي، لابد وأن يدرجها منشأ الخطاب في بدايات استراتيجياته الخطابية.

وبالعودة إلى تتبع حضور الوظيفة المعنية علـــى مســـتوى بعـــض العناوين المختارة، فإننا نلاحظ في البداية أن الصياغة اللغوية لتلك العناوين، تعكس من خلال بنيتها التركيبية، المسافة بين المؤلف وموضـــوعه، والقـــوة التي يضعها في العنوان بغية شد المتلقي، والتأثير عليه بكسبه وجـــره إلـــى متابعة خطابه، إلا أن الخطاب اللساني لا تنسحب عليه هـــذه الوظيفـــة فـــي مستوى عناوينه، إلا في نمط من أنماطه بحسب ما عاينـــت مـــن خطابـــات لسانية، والنمط المقصود هو الدرس اللساني التمهيدي أو التبسيطي، من باب أن متلقي الكتابة اللسانية التمهيدية قارئ مبتدئ غايته التعرف علـــى مبـــادئ

اللسانيات باعتبارها علما جديدا، لذلك يتوجب على من يؤلف في هذا اللون من الكتابة أن يختار ما يراه مناسبا لجلب القارئ وإثارة انتباهه، وإغرائه بعبارات محبوكة توحي بالتبسيط والتسهيل، وتروم الانتفاع، لخلق نوع من التفاعل والانسجام بين النص والقارئ، وتؤدي عناوين الكتابة اللسانية التمهيدية هذه الوظيفة بدرجات مختلفة ومتفاوتة كما يتم التركيز على كلمة مفتاح تشكل بؤرة العنوان وهدف الكتاب الأسمى[12].

وتأخذ الوظيفة التأثيرية المصاحبة للوظيفة التعبيرية شكلا آخر تعلن من خلاله حضورها حين نمعن النظر في داخل الخطاب أو متنه، أين نعثر على التأثيرات الحجاجية،والمقصود بذلك أن وسائل المحاججة والإقناع هي بحد ذاتها مولدة للوظيفة التأثيرية التي تهدف إلى تغيير السلوك العلمي للمتلقي أو تبديل وجهة نظره إزاء فكرة أو تصور لساني معين.

ومن بين العناوين التي استقر الرأي عليها، لجلاء الوظيفتين على مستواها، ما يلي[13]:

العنوان	المؤلف	الوظيفة التعبيرية	الوظيفة التأثيرية
توطئة لدراسة علم اللغة	التهامي الراجي	تتمثل الوظيفة التعبيرية في إبراز المخاطب للمسافة بينه وبين الموضوع، إذ أنه يتحرك في محيطه أو على هامشه، ولا يتجه نحو مركزه	تتجسد في الكلمة المبئرة:"توطئة"، والتي تمارس على المتلقي فعل التأثير اللغوي المحبوك، من خلال ما توحي به من تدرج وتسهيل
مدخل في	صالح	تشير الصياغة	لعبت اللفظة "مدخل"

اللسانيات	الكشو	اللغوية، إلـــى تعمـــد المخاطب تصدير لفظ "مدخل"، وهـــو مـــا يبعث على افتـــراض نيته في التحرك على مســـتوى المبـــادئ العامة للسانيات.	دورا محوريا فـــي التركيب العنـــواني، إذ تنطـــوي فـــي دلالاتها على فعـــل تأثيري استدراجي.
دلائل اكتساب اللغـــة فـــي التـــــراث اللســـــاني العربي	بشير إبرير	يشير المحتوى اللغوي للعنوان إلى موقـــف منتصـــر للمنجـــز اللساني القديم، لعلـــة توفره علـــى الـــدليل الحديث/القديم.	تمارس لفظة "دلائل" فـــي صـــيغتها الجمعيـــة، تـــأثيرا ذهنيا في المتلقـــي، لأن الدليل حجـــة، والحجـــة الدامغـــة تؤثر وتغير(نلاحظ هنا استعمال لفـــظ دلائل بدلا عن لفظ أدلة رغـــم الدلالـــة الجمعيـــة لكليهمـــا، غير أن الأولى أكثر تأثيرا).

أما على مستوى المقدمات، فقـــد لا حظنـــا اتســـاع رقعـــة عمـــل الوظيفتين، بحكم الفارق النوعي بين حجم العناوين وحجم المقـــدمات،علما أن

مقدمات الخطابات اللسانية تضمن حضور الوظيفتين دونما اعتبار لنمط الخطاب أو نوعيته.

ومن الأمثلة المأخوذة من عينات مقدماتية أفرزت الوظيفة التعبيرية، التي تتجلى فيها علاقة اللساني بخطابه وموقفه من مضمونه،ما يلي:

– «والدراسة التي تقدم في هذا الكتاب، ليست سوى **مساهمة أولية** لرصد بعض الجوانب التاريخية والنظرية المتعلقة **بالتجربة اللسانية في العالم العربي**، سواء من حيث العوامل الفاعلة فيها سلبا وإيجابا، أو من حيث إمكاناتها وحدودها»[14].

– «...وثبوت أهمية بحث **تعامل الواقع المعرفي العربي مع اللسانيات** حملنا على مثل هذا البحث، وقد **شجعنا على القيام به غياب الكتابات المخصصة له**، وندرة الإشارات المحيلة عليه»[15].

– «وهذا الكتاب محاولة لتقريب القارئ من بعض القضايا اللغوية، ومساهمة في التعريف بأفكار جملة من المذاهب اللسانية»[16].

يجسد المقطع الأول الوظيفة التعبيرية من خلال إعلان صاحبه عن موقفه من الخطاب المنجز، إذ حكم على عمله بالأولي والتقويمي في آن واحد.

أما المقطع الثاني فيتجلى موقف الكاتب من خطابه، في إقراره بغياب الكتابات التقويمية للحركة اللسانية العربية، زيادة على ثبوت تراكمات خطابية عربية في مجال المعرفة اللسانية، تبرر قيام العمل التقويمي.

أما المقتطف الأخير فنلحظ فيه الوظيفة التعبيرية، من خلال تصريح المؤلف بأن ما يحرره لا يعدو أن يكون محاولة لتقريب اللسانيات في خطوطها العامة من القارئ العربي.

ومن أمثلة حضور الوظيفة التأثيرية في العتبـــات الأوليـــة للخطـــاب اللساني اخترنا بعض المقاطع التي نلمس فيها توجها للقارئ بقصـــد التـــأثير فيه.

يقول أحدهم محاولا استدراج القارئ، إلى مطالعة ما كتبـــه، وبلغـــة متقنة، اختيرت ألفاظها بعناية تفضح القصد التأثيري: «هدفنا الوحيد الجدوى التربوية، والإبلاغ التعليمي، وبهذا الصنيع يغـــدو الكتـــاب أداة تثقيفيـــة، **إذ بوسعه أن يمكن القارئ من الاسترسال مع صفحاته، متتبعا قصة اللسانيات في يسر، وعلى غير تراكب فني**»[17].

ويقول آخر في مقدمته، جاعلا من المتلقي أو القارئ السبب المباشـــر في تصنيفه لهذا الكتاب–وهذا فعل تأثيري مقصود– «إلا أن هذا الاقتضـــاب في التعريف بمبادئ النحو الوظيفي المنهجية، جعل مجموعـــة مـــن قرائـــي يطرحون أسئلة عديدة ...وللرد على هذه الأسئلة، وعلـــى أســـئلة أخـــرى، أفترض في واضعيها حسن النية، وحب المزيد من الإطلاع، فعزمت علـــى تأليف هذا المدخل، الذي أتوخى تمكين القارئ العربي من تعـــرف المبـــادئ النظرية والمنهجية، الثاوية خلف الدراسات الوظيفية بوجه عام»[18].

ولا نبرح مقدمات الخطاب اللساني، دون الإشارة إلى خصوصيتها،في الخطاب اللساني المترجم،حيث تزداد فيها قيمة الوظيفـــة التأثيريـــة، فتـــارة بالإشارة إلى أهمية المجال اللساني، الذي انتقى منه المتـــرجم عمـــلا معينـــا وسعى في ترجمته، وتارة من خلال تأكيد المتـــرجم علـــى دقـــة الترجمـــة وسلامتها وسلاستها، والشاهدان الخطابيان الآتيان يثبتان ذلك:

– «أحدثت اللسانيات ثورة هامة في دراسة اللغة، وكان لها بالغ الأثر على العلوم الإنسانية، سواء على مستوى النتائج أو مستوى البحث.هذه الثورة

انطلقت شرارتها الأولى مع دروس في اللسانيات العامة لفردينان دي سوسير»[19]

– «ولقد اجتنبت الترجمات الغامضة، أو غير الوفية لهذه المصطلحات، ففككتها إلى ما تدل عليه بدل استعمالها جوفاء، **مما قد يضر القارئ أكثر مما يفيده**»[20]

3-الوظيفة الأيديولوجية:

ونعني بها الاستراتيجيات التي يضعها منشأ الخطاب اللساني و يتحرك بمقتضاها، والتي يهدف من ورائها إلى ضم القارئ أو كسبه لصالح غاية معينة،«ومن ثمة فخلفية الكاتب ونواياه المبيتة عادة ما تفسر بهذه الوظيفة الأيديولوجية»[21].

وتتجلى هذه الوظيفة –بحسب ما رصدنا من خطابات– في سياقين مختلفين هما: حديث اللساني عن خطابه، و تأسيس الخطاب اللساني على موقف فكري، مغاير لمواقف فكرية أخرى،كإشكالية التراث والحداثة في الخطاب اللساني العربي مثلا.

ففي السياق الأول يعمد المخاطب إلى الإشادة بعمله وقيمته العلمية، والقصد من وراء ذلك «الإقبال على قراءة الكتاب وتبني أفكاره»[22].

جاء في مقدمة خطاب لساني متخصص، ما نصه «صفوة القول،فإن هذا الكتاب جديد في موضوعه ومنهجه، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى **خدمة السيميائية العربية، والكشف عن جانب مغبون منها وهو الجانب المصطلحي**، وإذا ثمة أمنية لنا فهي أن يحظى هذا الكتاب بتتبع القارئ العربي ومحبته»[23].

وجاء في خطاب لساني آخر «لقد نشرت هذه الدراسة منذ أكثر مـــن عشر سنوات، ونعود لنشرها بعد نفاد الطبعة الأولـــى، التـــي لقيـــت قبـــولا واستحسانا لدى المتخصصين وغير المتخصصين، وقد أضفنا فصلا رابعا في الباب الثاني بعنوان:دلالة الزمان والسياق اللغوي»[24]

أما في السياق الثاني فيسعى المخاطب إلى توجيه القارئ إلـــى أفـــق معين يهدف إليه، كأن يبين له أصالة التراث اللغوي وسبقه إلى الكثيـــر مـــن المسائل اللسانية المعاصرة، وغالبا ما يتم التبيين عبر خطاب يعـــج بأســـماء تراثية مقرونة بمقولاتهم، ومقارعتها بالمقولات اللسانية الحديثة، كما قد يتخذ الأمر اتجاها معاكسا يثبته دعوة المخاطب قارئه إلى الاطلاع على منجـــزات الفكر اللساني المعاصر من حيث فاعليتها ونجاعتها فـــي مقاربـــة الظـــاهرة اللغوية، وفي كلتا الحالتين يتعالى المؤلف بقارئه عن المضمون العلمي – أو فلنقل لا يعتبره الغاية الوحيدة– لصالح تبنيه لبعض القناعات الفكرية، ومـــن شواهد ذلك نورد ما يأتي:

– «كان مطمحي إذن، من وراء هذا الكتاب الصغير شيئا أكبر مـــن مجرد التعريف بعلم الأسلوب، بل أكثر من علم الأسلوب كله ومن النقد كله، أردت أن أثبت بهذا العمل الضئيل أننا **إذا نظرنا إلى تراثنا بعيون مفتوحـــة على ثقافة العصر أمكننا أن نعرف قيمة ذلك التراث بلا مبالغة**، وأن ننقـــده بلا خجل، وأن نعيشه بلا جمود»[25]

– «هكذا إذن فكر العلماء العرب القدامى في لغتهم وأخرجوهـــا مـــن مستوى الموجود بالقوة إلى مســـتوى الموجـــود بالفعـــل، فكانـــت المعـــاجم والدلالة...،**مما يؤكد بأن هذا التراث ما يزال وردا تتناصر الهمم إليه بغيـــة فهمه وتحليله ومحاولـــة توظيفـــه واســـتثماره**، ولعـــل أفضـــل ميـــادين الاستثمار..»[26]

– «وكان من المفروض أن تساير اللسانيات الوصفية العربية، أو ما أسميناه بلسانيات الظواهر،الطرق العلمية المتبعة في اللسانيات النظرية أو في اللسانيات الخاصة بأي لغة طبيعية، و**أن نتجه في برنامج مستعجل** إلى بناء **نحو جديد للغة العربية الفصيحة**...ولانقصد بذلك ما يقصده القدماء أو بعض **المحدثين القدماء**(*)»[27]. (الموقف الداعي إلى القطيعة مع الممارسات اللغوية القديمة).

– «إن طرح النقطتين:الأولى مسألة تعريف التمييز عند النحاة العرب، والثانية مسألة العامل في التمييز، ليس إلا جزءا صغيرا جدا من جملة ما تطرحه بنية التمييز في العربية، وبمعالجتها معا سنتبين بعض المشاكل التي تعتري وصف النحاة العرب لهذا المركب، **مما يجعل البحث عن بديل** وصفي وتفسيري لساني أمرا لا مناص منه، **وهذا يطرح السؤال الكبير الذي يؤدي إلى التعامل مع التراث النحوي، ومدى مصداقية الفرضية الداعية إلى تجاوزه واعتماد اللسانية الحديثة التي أبانت عن قدرتها التفسيرية في عدة لغات أخرى**»[28].

4-الوظيفة الشارحة أو الواصفة:

تتحقق هذه الوظيفة في الخطاب اللساني بامتياز،على اعتبار أنه حديث باللغة عن اللغة، مما يجعل منها الوظيفة الأكثر بروزا، ولا يعني هذا الكلام أن الوظيفة الواصفة يفرزها الخطاب من أوله إلى آخره وبكل مكوناته اللغوية، بل تتجلى من خلال كيانات لغوية تحيل على كيانات لغوية أيضا «كلغة النحاة على سبيل المثال، فالمصطلحات "فاعل" و"مفعول به" مثلا عبارتان ميتالغويتان لكونهما تدلان لا على واقعين في العالم الخارجي، بل على نمطين من العبارات تتوافر فيهما خصائص معينة»[29].

إن تمركز الوظيفة الماوراء لغوية بشكل خاص في عناصـــر لغويـــة مبثوثة في الخطاب اللساني، قد يثير التساؤل عن طبيعة هذه العناصر اللغوية الخاصة، والإجابة عنها لا تعدو أن تكون مصطلحات الخطاب نفسه، لأنهـــا تعاقد بين المشتغلين بمجال معرفي معـــين تحيـــل بموجبـــه علـــى وقـــائع مخصوصة.

وتمثيلا لا حصرا للوظيفة الشارحة نورد المقاطع الآتية:

– « لقد تناول النحاة واللغويون العرب قديما قضية **الكلمة** من عـــدة جوانب، من أبرزهـــا مـــا يتصـــل بـــالتعريف والتحديـــد والمقابلـــة بـــين **السماعوالقياس**، و مايتصل في ذلك **بالاشتقاقوبناء** الكلمة العربيـــة بجميـــع أبعادها»[30].

–« يعتبر **الترتيب**إجراء**اتركيبيا** عاما يتحكم في إجـــراءات **تركيبيـــة** فرعية هي: **التقديم والتأخير والتوسيط**، وتعتمد هذه الإجـــراءات **التركيبيـــة** على مفاهيم **لسانية**،هي: **الرتبـــة والموقـــع والمركـــز والأصـــل والفـــرع والصدارة**»[31].

لقد حاولت من خلال هذا المقال أن أكشف عن وظائف الخطاب كمـــا درجت عليه اللسانيات البنوية (بخاصة جاكبسون)، ولكن على نمط من أنماط الخطاب العلمي وهو الخطاب اللساني، ولعلنا إلى زمن قريبلم نعتد الاهتمـــام بما كان خطابا غير أدبي، مقارنة بالخطاب الأدبي سواء كان أدبيا خالصا أو قريبا منه كالخطاب النقدي،و لتحقيق الغاية المعلنة اختـــرت مجموعـــة مـــن الفقرات والعبارات والعناوين التي اقتطعتها من خطابات تنتمي إلـــى حقـــل اللسانيات وأصحابها ممن اهتموا بهذا المجال، فكانت النتيجة أن استجاب هذا النمط من الخطاب العلمي إلى نظرية الوظائف اللغوية كمـــا عهـــدناها عنـــد جاكبسون ومن تلاه. ولعل هذا من شأنه أن يغير النظرة للخطاب العلمي من

حيث اللغة التي يبني بها أفكاره وتصوراته، إذ هي لغة تنسحب عليها الوظائف ذاتها التي يمكن أن نرصدها في غيره من الخطابات والشأن نفسه إن نحن قاربنا الخطاب اللساني أو أي نوع آخر من الخطابات العلمية من خلال ظاهرة الاستعارة إذ سنجد به قدرا من الاستعارات تدفعنا إلى عدم المبالغة في وصف الخطاب محل البحث بالجافمن ناحية، وإلى وجوب إعادة النظر في جزئية لغة الخطابات غير الأدبية من ناحية أخرى.

الهوامش والإحالات:

[1]–فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص68.

[2]– المرجع نفسه، ص .66

[3]–حافيظ إسماعيلي علوي: تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه، (مخطوط)، ص 457–458.

[4]– سعيت ما أمكنني إلى الاستشهاد بعناوين خطابات لسانية اشتغلت على قضايا تهم الظاهرة اللغوية دون سواها.

[5]– المصدر السابق، ص 142.

[6]– بشير إبرير: مفهوم التبليغ وبعض تجلياته التربوية في التراث اللساني العربي، مجلة التواصل، منشورات جامعة عنابة، الجزائر، العدد11، 2003، ص .60

[7]– أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص 8 (المقدمة).

[8]–أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ب ط، 2001، ص.10

[9]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، دط، 1987، ص47.

10–إلمارهولنشتاين: رومانياكبسون أو البنوية الظاهراتية، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، دار تانسيفت للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص120.

11- مصطفى غلفان: اللسانيات البنوية: منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013، ص.231

12-انظر: حافيظ اسماعيلي علوي: تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية الحديثـــة، ص.131

13- لم نشر في المتن إلى نوعية أخرى من العناوين التي توسم بها الخطابات اللســـانية، وهي ذات منحى غرائبي أو استفزازي، حين يكون العنوان من حيث صـــياغته اللفظيـــة ممارسا لتأثيرات معينة على المتلقي وبشكل مباشر،من ذلك مـــثلا عنـــاوين الخطابـــات اللسانية التالية:

- لتحيا اللغة العربية، ويسقط سيبويه/ شريف الشوباشي.
- الاستعارات التي تقتل/ جورج لايكوف.
- من عبادة الأحجار إلى عبادة الأنظار/ أحمد علوي
- لسانيات هبل/ أحمد علوي

14- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصـــادر والأســـس النظرية والمنهجية، المقدمة.

15- ألفة يوسف: المساجلة بين فقه اللغة واللســـانيات عنـــد بعـــض اللغـــويين العـــرب المعاصرين، دار سحر للنشر، تونس، ط1997،1، المقدمة، ص.5

16- ابن رشد المعتمد وخريص محمد:مدارس علم اللغات،المكتبة الثقافية، الدار البيضاء، دط، 1993، المقدمة، ص4

17-عبد السلام المسدي: اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشـــر، تـــونس، ط1، 1984، المقدمة، ص .6

18- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص5 و.6

19- روجر فاولر: اللسانيات والترجمة:ترجمـــة لحســـن أحمامـــة، دار الثقافـــة للنشـــر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 1418-1997، ص .7

20- سارة ميلز: الـــخطاب، ترجمة : يوسف بغول، منشورات محبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري – قسنطينة-، الجزائر، ب ط، مقدمة المترجم.

21- حافيظ اسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص .133

22- المصدر نفسه، ص 143.

23- مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2005،ص.8

24- حسام الدين زكي: الزمان الدلالي: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002، ص8.

25- شكري محمد عياد: اتجاهات البحث الأسلوبي، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، مصر، ط3، 1999، ص.5

26- بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عنابة، دط، 2007، ص 15.

(*)- لنلاحظ في هذا المقطع لفظة القدماء "الثانية" المستعملة من طرف صاحب الخطاب، وما تحمله من أبعاد أيديولوجية، وهذا يجعلنا نسلم بإمكانية استجلاء الوظيفة المعنية من خلال الدوال المنفردة أو المحورية في خطاب معين، وهذايؤكد: «أن الكلمات في صراع الخطابات تغير معناها، أو لنقل إن الكلمات تأخذ معانيها من خلال الخطابات المتعارضة وليس في اللغة المشتركة العامة».

أنظر: ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة: عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، مصر، ط1 ،2001، ص .14

27- عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات حول الكتابة اللسانية، مجلة تكامل المعرفة، المغرب، العدد: 9، 1984، ص.16

28- عبد القادر كنكاي: الملحقات في العربية بين التصور النحوي والتصور اللساني، ضمن: مكانة الأنحاء التقليدية في اللسانيات الحديثة، منشورات كلية الآداب، جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، سلسلة الندوات، رقم:10، 1997، ص.99

29- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص.48

30-الطيب البكوش وصالح الماجري: في الكلمة، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 1993، ص.17

31- عبد العزيز العماري: أدوات الوصف والتفسير اللسانية، سلسلة من النحو إلى اللسانيات، مطبعة أنفو برانت، فاس، ط1، 2004،ص56.